اَلْمَزْمُورُ السَّادِسُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. تَسْبِيحَةٌ. مَزْمُورٌ

1 اهْتِفِي لِلَّهِ يَا كُلَّ الأَرْضِ. 2رَنِّمُوا بِمَجْدِ اسْمِهِ. اجْعَلُوا تَسْبِيحَهُ مُمَجَّداً. 3قُولُوا لِلَّـهِ: «مَـا أَهْيَـبَ أَعْمَالَكَ! مِنْ عِظَمِ قُوَّتِكَ تَتَمَلَّقُ لَكَ أَعْدَاؤُكَ. 4كُلُّ الأَرْضِ تَسْجُدُ لَكَ وَتُرَنِّمُ لَكَ. تُرَنِّمُ لاِسْمِكَ». سِلاَهْ.

5هَلُمَّ انْظُرُوا أَعْمَالَ اللهِ، فِعْلَهُ الْمُرْهِبَ نَحْوَ بَنِي آدَمَ. 6حَوَّلَ الْبَحْرَ إِلَى يَبَسٍ، وَفِـي النَّهْـرِ عَبَـرُوا بِالرِّجْلِ. هُنَاكَ فَرِحْنَا بِهِ. 7مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الأُمَمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لاَ يَرْفَعُنَّ أَنْفُسَهُمْ. سِلاَهْ.

8بَارِكُوا إِلَهَنَا يَا أَيُّهَا الشُّعُوبُ، وَسَمِّعُوا صَوْتَ تَسْبِيحِهِ. 9الْجَاعِلَ أَنْفُسَنَا فِي الْحَيَاةِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ أَرْجُلَنَـا إِلَى الزَّلَلِ. 10لأَنَّكَ جَرَّبْتَنَا يَا اللهُ. مَحَصْتَنَا كَمَحْصِ الْفِضَّةِ. 11أَدْخَلْتَنَا إِلَى الشَّبَكَةِ. جَعَلْتَ ضَغْطاً عَلَى مُتُونِنَا. 12رَكَّبْتَ أُنَاساً عَلَى رُؤُوسِنَا. دَخَلْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الْخِصْبِ.

13أَدْخُلُ إِلَى بَيْتِكَ، بِمُحْرَقَاتٍ أُوفِيكَ نُذُورِي، 14الَّتِي نَطَقَتْ بِهَا شَفَتَايَ، وَتَكَلَّمَ بِهَا فَمِي فِي ضِـيقِي. 15أُصْعِدُ لَكَ مُحْرَقَاتٍ سَمِينَةً مَعَ بَخُورِ كِبَاشٍ. أُقَدِّمُ بَقَراً مَعَ تُيُوسٍ. سِلاَهْ.

16هَلُمَّ اسْمَعُوا فَأُخْبِرَكُمْ يَا كُلَّ الْخَائِفِينَ اللهَ بِمَا صَنَعَ لِنَفْسِي. 17صَرَخْتُ إِلَيْهِ بِفَمِي، وَتَبْجِيـلٌ عَلَـى لِسَانِي. 18إِنْ رَاعَيْتُ إِثْماً فِي قَلْبِي لاَ يَسْتَمِعُ لِيَ الرَّبُّ. 19لَكِنْ قَدْ سَمِعَ اللهُ. أَصْغَى إِلَى صَـوْتِ صَـلاَتِي. 20مُبَارَكٌ اللهُ الَّذِي لَمْ يُبْعِدْ صَلاَتِي وَلاَ رَحْمَتَهُ عَنِّي.

ما صنع لنفسي

مزمور 65 مزمور شكر على الحصاد، وانتهاء السنة الزراعية، وهذا المزمور شكرٌ على الانتصار والنجاة، فيه يذكر المرنم فضل الله على أُمته وعليه في الماضي والحاضر. ويتحدث المرنم في النصف الأول من هذا المزمور بصيغة الجمع (آيات 1–12) وفـي نصفه الثاني بصيغة المفرد (آيات 13–20). ولعل مناسبة كتابة المزمور كانت نجاة الملك حزقيا وشعبه من هجـوم الأشـوريين، فيشكر الملك الله أولاً بالنيابة عن الشعب، ثم يشكره بالأصالة عن نفسه. وعنوان هذا المزمور «تسبيحةٌ. مزمورٌ» يقدم المرنم فيـه الشكر لله بالكلام والنَّغم. ونشترك نحن مع المرنم في شكر الله بكلماتنا، كما نشكره بترتيلنا.

وبالمزمور نظرة للماضي، فالله عامل في التاريخ، يقول المرنم إنه «حوّل البحر إلى يَبَس» (آية 6) ثم «أخرجتنا إلى الخصب» (آية 12). وبناءً على الخبرة المباركة الماضية يؤكد المرنم علاقته العميقة بالله وحرصه أن يكون مستقبله في مخافة الله والخضوع له. ويتعهد لله في مستقبل أيامه بأن: «أوفيك نذوري» (آية 13) ثم يعلن التزامه بالشهادة لله «فأخبركم بما صنع لنفسي» (آية 16).

ويعلّمنا هذا المزمور أن نشكر الرب على إنقاذه لنا ومعونته التي لا تتوقَّف، في المرض والضيق والعوز والحيرة والاكتئاب، سواء كنا نحن مصدر ما يحيق بنا من متاعب، أو كان غيرنا السبب فيه.

في هذا المزمور نجد:

أولاً– إعلان نفس شاكرة (آيات 1–7).

ثانياً– اعترافات نفس شاكرة (آيات 8–12).

ثالثاً– وعود نفس شاكرة (آيات 13– 20).

أولاً -إعلان نفس شاكرة (آيات 1-7)

1 – دعوة للشكر: (آيتا 1، 2)

(أ) **يطلب المرنم من كل الأرض أن تهتف له:** «اهتفي لله يا كل الأرض» (آية 1). هو الذي إليه يـأتي كـل بشر، لأنه متكَّل جميع أقاصي الأرض (مز 65: 2، 5). ليهتف له كل سكان المسكونة بالحمد والترنيم بمختلف لغاتهم.

(ب) **وليكن الهتاف بنشوة الفرح:** «رنموا بمجد اسمه» (آية 2أ). وليكن صوت الترنيم مرتفعاً يـوقظ أهـل الأرض جميعاً، ليعلنوا أفضال خالقهم عليهم، فما أكثر ما أغدق عليهم من خير!

(ج) **وليكن الهتاف مصحوباً بالموسيقى**: «اجعلوا تسبيحه ممجداً» (آيه 2 ب). نشكره بالغناء والهتاف على شخصه كما نشكره على إحسانه، بصورة مجيدة تليق بمجده. ليهتف القلب واللسان وكل الكيان معلناً عظمة شخصه وعظمة عمله وشدة محبته. ولنشترك مع السرافيم في الهتاف: «قدوس! قدوس! قدوس» (إش 6: 3).

2- الدافع على إعلان الشكر: (آيتا 3، 4). أعماله التي تُفرح عبيده تُرهب أعداءه، فتسبحه جميع أعماله (مز 103: 22).

(أ) **أعماله مهيبة وقورة**: «ما أهيب أعمالك!» (آية 3أ). إنها غريبة ومدهشة وغير متوقَّعة. كذلك كانت، وهكذا هي كائنة وستكون. «لا مثلَ لك بين الآلهة يا رب، ولا مثل أعمالك» (مز 86: 8). «عجيبة هي أعمالك أيها الرب الإله القادر على كل شيء. عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين. من لا يخاف يا رب ويمجد اسمك، لأنك وحدك قدوس !لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك، لأن أحكامك قد أُظهرت» (رؤ 15: 3، 4).

(ب) **أعماله قوية**: «من عظم قوتك تتملق لك أعداؤك» (آية 3ب)، يُخضعهم بقوته فيتذللون ويتملقون! «فيتذلل لك أعداؤك، وأنت تطأ مرتفعاتهم» (تث 33: 29). ومن مصلحة الأعداء أن يتصالحوا معه ويطلبوا رضاه.. هناك من لا تربطهم بالرب صلة إيمان قلبي ولا حب، ولكنهم يتملقونه ويطلبون عونه ورضاه لأنهم يخشون قوته وعقابه. غير أن محبة الله تجعل شعبه يتعبَّدون له بالمحبة والخضوع، وهكذا «كل الأرض تسجد لك وترنم لك. ترنم لاسمك» (آية 4).

3- تأمل في أعمال الله: (آيات 5-7).

(أ) **هناك أعمال عامة للجميع**: «هلمَّ انظروا أعمال الله، فعله المرهب نحو بني آدم» (آية 5) يدعو المرنم سامعيه للتأمل في أعمال الله العجيبة في الماضي مع البشر جميعاً بكل أجناسهم، سواء كانت أعمال إحسان لمحبيه، أو عقاب لمبغضيه. لقد منح الله البشر حرية الاختيار، وهو يسمح لهم بإقامة حزب معارضة، ويعطيهم البركات التي يستخدمونها لمقاومة ملكوته، إن شاءوا! ويشرق عليهم شمسه كل صباح، ويمنحهم الحياة، ويطيل أناته عليهم لعلهم يتوبون. وعندما يتمردون يحول شرهم إلى خير لملكوته (تك 50: 20).

(ب) **هناك أعمال خاصة لشعبه**: «حوَّل البحر إلى يَبس، وفي النهر عبروا بالرِّجل. هناك فرحنا به» (آية 6). «ومد موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء. فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة، والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم، جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه.. فقال الرب لموسى: مُد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين.. فدفع الرب المصريين في وسط البحر» (خر 14: 21-29). حينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل: «أرنم للرب فإنه قد تعظم. الفرس وراكبه طرحهما في البحر.. نفخت بريحك فغطاهم البحر. غاصوا كالرصاص في مياه غامرة» (خر 15: 1، 10). وفي أيام يشوع انشقَّ نهر الأردن، وعبر بنو إسرائيل في اليابسة «وقفت المياه المنحدرة من فوق، وقامت نداً واحداً» (يش 3: 9-17).

(ج) **أعمال الله مستمرة**: «متسلط بقوته إلى الدهر. عيناه تراقبان الأمم. المتمردون لا يرفعن أنفسهم» (آية 7). له ذراع القوة وسلطانه أزلي أبدي، لا يضعف ولا يتغير. ما سبق أن فعله سيستمر يفعله. لا تغيير فيه. هو الإله العظيم الذي شقَّ المياه لخدمة شعبه، تجول عيناه في الأرض ليكرم الذين هم له، ويعاقب الذين يقاومون إرادته الصالحة. كل شيء عريان ومكشوف أمامه، ولا يختفي عنه أمر. يرى مؤامرة الشرير في الظلام، ويحفظ المؤمن بسلام حتى عندما ينام. إنه يقاوم المستكبرين ويعطي نعمة للمتواضعين (أم 3: 34 ويع 4: 6 و1بط 5: 5). ولا بد أن تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب (في 2: 10، 11). «هوذا يأتي مع السحاب، وستنظره كل عين، والذين طعنوه، وينوح عليه جميع قبائل الأرض» (رؤ 1: 7). ولكن هناك فرقاً بين دموع الرعب من المتمردين فلا يرفعن أنفسهم، وبين دموع الفرح من المنتظرين، فيرتلون ألحان الهتاف والتمجيد، ويجعلون تسبيحه ممجداً.

ثانياً _اعترافات نفس شاكرة
(آيات 8-12)

بدأ المرنم مزموره بأن دعا كل الأرض تهتف للرب، ثم دعا كل الشعوب لتشكره: «باركوا إلهنا يا أيها الشعوب، وسمعوا صوت تسبيحه» (آية 8). أعلن فضل الله على أجداده عندما شق البحر الأحمر ونهر الأردن، واعترف بفضل الله عليه هو شخصياً. ويذكر المرنم ثلاثة براهين على فضل الله عليه:

1 – خلصه من الزلل: »الجاعل أنفسنا في الحياة، ولم يُسلم أرجلنا إلى الزلل» (آية 9). أراد أعداؤهم لهم الموت ولكن الله حزم أنفسهم في حزمة الحياة (1صم 25: 29). أرادوا أن تزل أرجلهم في شبكة العبودية والعذاب، فأنقذهم لأنه متسلط بقوته إلى الدهر. هو الذي يلدنا ثانية فينقذنا من عبودية إبليس، ثم بقوته يحرسنا لنستمر في حياة الحرية (1بط 1: 3، 5). المؤمنون هم المدعوون والمحفوظون (آية 1). «من قِبَل الرب تتثبت خطوات الإنسان، وفي طريقه يُسَرُّ. إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسندٌ يده» (مز 37: 23، 24).

2– خلصه من التجارب: «لأنك جربتنا يا الله. محصتنا كمحص الفضة» (آية 10). سمح الرب للعدو أن يضايق شعبه ليزداد شعبه قرباً إليه. كانت نيران الألم تصفيهم وتنقيهم ليكونوا ممحوصين كالفضة النقية، التي احترق كل زغلها (غشّها) بالنار، وتحقق معهم القول الإلهي: «أردُّ يدي عليك وأُنقي زغلك كأنه بالبورق (مادة قلوية تدخل في صناعة الصابون)، وأنزع كل قصديرك» (إش 1: 25) ليت العدو يعرف أن نيران اضطهاده للمؤمنين لا تحرقهم بل تنقيهم! ليته يعرف أن دماء الشهداء هي بذار الكنيسة! ليته يعرف أن النار لا تحرق العليقة بل تزيدها اخضراراً!.. فهل عرف المؤمنون أن هدف كل تجربة وتعب هو التنقية، لنوجد «للمدح والكرامة والمجد عند استعلان يسوع المسيح» (1بط 1: 7).

3- خلصه من الضغوط: «أدخلتنا إلى الشبكة. جعلت ضغطاً على متوننا (أثقلت كواهلنا). ركبت أناساً على رؤوسنا. دخلنا في النار والماء» (آيتا 11، 12أ). سمح الله أن يصطاد العدو شعبه فصاروا مثل سمكة في شبكة، أو سجين في جب، ووضع عليهم أثقالاً كبيرة نفسية ومالية فنُهبت ثرواتهم ودفعوا الجزية. أصابتهم الهزيمة في الحروب. دخلوا في النار والماء، وصرخوا مع إرميا النبي الباكي: «من العُلاء أرسل ناراً إلى عظامي فسَرَت فيها. بسط شبكةً لرجليَّ» (مرا 1: 13). ولكن الرب وعد: «إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك. إذا مشيت في النار فلا تُلذَع، واللهيب لا يحرقك» (إش 43: 2). فهو يسمح بدخول شعبه في شبكة الصيادين، وفي نار المقاومين، وفي ماء المُغرِقين.. لكنه معهم وسط هذه كلها، يخرجهم أشدَّ طُهراً ونقاءً.

ويُنهي هذا كله بما يصفه المرنم بالقول: «ثم أخرجتنا إلى الخصب» (آية 12ب). وهذه نهاية سعيدة لموقفٍ حزين. لقد أخرج شعبه من العبودية القاسية ومن سوء العذاب إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. أخرج يوسف من سجن فرعون إلى منصب الرجل الثاني في مصر. إن بعد كل صليب أليم قيامة مجيدة. بدل الضغط على المتون يضع الله تاجاً على الرأس، وبدل أن يركب الأعداء رؤوس شعبه يملكهم على الأمم. «عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم» (مز 30: 5).

ثالثاً _وعود نفس شاكرة

(آيات 13-20)

الذي فعل في الماضي مع آبائنا فوهبنا تراثاً رائعاً، والذي يفعل في الحاضر فيمنحنا خلاصاً عظيماً، يستحق أن نكرس له الحياة، ونعيش بأمانة في العهد الذي قطعه معنا، ونجدد عهود خضوعنا وطاعتنا له كل يوم. ثم نشهد له ونعلن أمام الجميع فضله. وهذا ما فعله المرنم.

1- وعد بوفاء النذر: «أدخُل إلى بيتك بمحرقات. أوفيك نذوي التي نطقتْ بها وتكلم بها فمي في ضيقي. أُصعد لك محرقات سمينة مع بخور كباش. أقدم بقراً مع تيوس» (آيات 13–15). شعر المرنم بمديونيته لرحمة الله ونعمته. ولم يشأ أن يحضر أمام الرب فارغاً (تث 16: 16) فقرَّر أن يقدم أفضل ما عنده لله، وأن يوفي نذوره. (انظر تعليقنا على النذور في مزمور 50: 14).

قرَّر المرنم أن يقدم لله ذبائح شكر كما سبق ووعد، وهو يصف هنا محرقة الكباش بأنها بخور ذبيحة سلامة ذات رائحة عطرة، كما قالت شريعة موسى: «توقد كل الكبش على المذبح. هو محرقةٌ للرب. رائحة سرور. وقودٌ هو للرب» (خر 29: 18). وليس هذا إتلافاً، لكنه تعبير عن الحب للرب، كما سكبت المرأة التائبة الناردين الكثير الثمن على رأس المسيح، فمدح محبتها (مر 14: 3–9). وكل من يفعل هذا يكنز لنفسه كنزاً في السماء (مت 6: 20).

ويعلمنا العهد الجديد أن نحب الرب فنقدم له نفوسنا، وعائلاتنا فنقول: «أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش 24: 15) كما نقدم له كل مقتنياتنا قائلين: «أنا لحبيبي وإليَّ اشتياقه» (نش 7: 10). ونحن اليوم نقدم للرب أجسادنا، ذبيحة حية مقدسة، عبادتنا العقلية، فالرب سيد الحياة كلها لأنه خلقنا، ولما ضللنا اشترانا (رو 12: 1).

2- وعد بالشهادة للفضل: (آيات 16–20).

يعترف المرنم بفضل مثلث، ويدعو المؤمنين ليستمعوا له وهو يشهد بفضل الله عليه:

(أ) الفضل لسامع الصلاة: «هلم اسمعوا فأخبركم يا كل خائفي الله بما صنع لنفسي. صرختُ إليه بفمي، وتبجيلٌ على لساني» (آيتا 16، 17). في آية 5 دعا الجميع لينظروا، ويدعوهم هنا ليسمعوا، فالإيمان بالخبر، والخبر بكلمة الله، وها هو يخبرهم

ليؤمنوا (رو 10: 17). وعندما يؤمنون يحيون «أميلوا آذانكم وهلموا إليَّ. اسمعوا فتحيا أنفسكم» (إش 55: 3). إنه ينقل اختباراته لسامعيه، وعندما يسمع الودعاء يفرحون (مز 34: 2). وبغير فخرٍ أمام الناس يفتخر المؤمن بإلهه، ويرفعه ويعظمه، فقد صرخ إليه فوجده القريب المجيب لصراخه. قال الملك حزقيا: «هوذا للسلامة قد تحوَّلت لي المرارة، وأنت تعلقت بنفسي من وهدة الهلاك، فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي» (إش 38: 17).

(ب) الفضل لمن ينقي القلب: «إن راعيت إثماً في قلبي لا يستمع لي الرب. لكن قد سمع الله. أصغى إلى صوت صلاتي» (آيتا 18، 19). فالله يكره صلاة الشرير «من يحوِّل أذنه عن سماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة» (أم 28: 9) إلا إذا كانت صلاة الشرير صلاة توبة. ولو راعى الإنسان خطية في قلبه فنماها وطورها فإن الرب لا يسمع صلاته، لأن الخطية تقوم حاجزاً بينه وبين الرب، كما قال النبي: «بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم، وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع» (إش 59: 2). لكن الله سمع للمرنم وأصغى إلى صوت صلاته، بعد أن نقى قلبه وبرَّره وجعله مستحقاً أن تكون صلاته مُستجابة ودعاؤه مقبولاً. ويعود الفضل كله لمن يبررنا بالإيمان، فيصير لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح، فندخل بالإيمان إلى نعمة نقيم فيها (رو 5: 1).

(ج) الفضل لصاحب الرحمة: «مبارك الله الذي لم يُبعد صلاتي ولا رحمته عني» (آية 20). لم تكن استجابة الصلاة لاستحقاق في المصلي إنما لرحمة الله التي لم تهمل تلك الصلاة بل قبلتها. هذا هو أساس ثقتنا وموضوع رجائنا، وبهجة تسبيحنا. لم يحرم الله المرنم من المثول في محضره، ولا حرمه من استجابة صلاته، لأنه برحمته نقى قلبه. «إنه من إحسانات الرب أننا لم نفن، لأن مراحمه لا تزول. هي جديدة في كل صباح. كثيرة أمانتك» (مرا 3: 22، 23). «من هو إلهٌ مثلك غافر الإثم وصافحٌ عن الذنب.. يعود يرحمنا، يدوس آثامنا» (مي 7: 18، 19).

«هلم اسمعوا فأخبركم يا كل الخائفين الله بما صنع لنفسي.. مبارك الله»

اَلْمَزْمُورُ السَّابِعُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى ذَوَاتِ الأَوْتَارِ. مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ

1لِيَتَحَنَّنِ اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا. لِيُنِرْ بِوَجْهِهِ عَلَيْنَا. سِلاَهْ. 2لِكَيْ يُعْرَفَ فِي الأَرْضِ طَرِيقُكَ، وَفِي كُلِّ الأُمَمِ خَلاَصُكَ. 3يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ، يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمْ. 4تَفْرَحُ وَتَبْتَهِجُ الأُمَمُ، لأَنَّكَ تَدِينُ الشُّعُوبَ بِالاسْتِقَامَةِ، وَأُمَمَ الأَرْضِ تَهْدِيهِمْ. سِلاَهْ. 5يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ يَا اللهُ. يَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ كُلُّهُمُ. 6الأَرْضُ أَعْطَتْ غَلَّتَهَا. يُبَارِكُنَا اللهُ إِلَهُنَا. 7يُبَارِكُنَا اللهُ، وَتَخْشَاهُ كُلُّ أَقَاصِي الأَرْضِ.

المؤمنون بركة للعالم

هذا مزمور فرح، كانوا ينشدونه بعد الحصاد، فيه يقول المرنم: «الأرض أعطت غلَّتها. يباركنا الرب إلهنا» (آية 6). ففي قمة الابتهاج، بعد الاحتفال بعيدي الخمسين والمظال، يصف المرنم بركة الله للعالم بواسطة المؤمنين، فيطلب وجهه ليعرِّف الناس الرب وخلاصه وسلطانه، فيتحقق وعد الله لإبراهيم: «أجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك وتكون بركة، وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» (تك 12: 2، 3).

وترتفع في هذا المزمور صلاة لأجل العالم، لأن المؤمنين عندما يتباركون يباركون غيرهم، فيصيرون مثل الملح المملَّح الذي يملِّح المجتمع، ومثل النور المستنير الذي ينير العالم!

عادة تسقط الأمطار على القمم، فتغمر الوديان. والمؤمنون هم قمم العالم، لأنهم الأكثر قرباً من الله. وهم الذين ينالون البركة من الله أولاً ثم يوزعونها على الآخرين، كما أخذ التلاميذ الطعام من المسيح ليقدموه للجياع.

في هذا المزمور نجد:

أولاً– طلب البركات للمؤمنين (آية 1)

ثانياً– المؤمنون يباركون العالم (آيات 2–7)

أولاً – طلب البركات للمؤمنين
(آية 1)

المزمور يطلب ثلاث بركات وَعَد الله أن يمنحها لشعبه في البركة الكهنوتية، والتي تقول: «يباركك الرب ويحرسك، يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد 6: 24–26). وكنتيجة لنوالها يذكر المرنم سبع بركات يقدمها المؤمنون للعالم. وعلى المؤمنين أن يعرفوا أنهم كلما فكروا في غيرهم أكثر تضاعفت البركات لهم. وكلما شاركوا غيرهم في البركات التي عندهم استمتعوا بها أكثر!. واليك هذه البركات الثلاث:

1- حنان الله: «ليتحنن الله علينا» (آية 1أ). يطلب حنان الله عليه وعلى إخوته لأنه يدرك أنه لا يستحق، فالرحمة تمنع عنا العقاب الذي نستحقه، والنعمة تمنحنا البركة التي لا نستحقها.. وأول ما يحتاجه الإنسان من مراحم الله هو غفران خطاياه، ولن يصير الإنسان أهلاً للحنان الإلهي إلا بعد أن يصلي: «اللهم ارحمني أنا الخاطئ» (لو 18: 13). وقد دعا الله شعبه مجازاً: «رُحامة» فقال: «قولوا لإخوتكم عمِّي (شعبي) ولأخواتكم رُحامة (مرحومون)» (هو 2: 1). كانوا غير مستحقين الرحمة ولكنه تحنن عليهم ورحمهم، فصار لقب «رُحامة» كلمة تحية بين المؤمنين وبعضهم.

2- بركة الله: «ليباركنا» (آية 1ب). يطلب البركة لنفسه وللمؤمنين، وهي بركة النصر على عدو النفوس. عندما جاء الموآبيون والعمونيون لمحاربة الملك يهوشافاط خاف، فصام وصلى، فأرسل له الرب النبي يَحزئيل ليشجعه. وخرج بنو إسرائيل يقفون ويرتلون: «احمدوا الرب لأن إلى الأبد رحمته» فأعطى الرب نصرة لشعبه القديم على أعدائهم، فشبع الجائعون، واغتنى المُفلسون، وتشجَّع الخائفون، وأطلقوا على المكان اسم «وادي بركة، لأنهم هناك باركوا الرب» فباركهم الرب! (2أي 20).

ويتناول المؤمنون اليوم كأس البركة كلما جلسوا حول مائدة عشاء الرب، يشبعون بالمسيح، ويقولون: «كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح؟» (1كو 10: 16) فيتباركون بالرب، وبالشركة بعضهم مع بعض، وبالحضور الإلهي وسطهم.

3- رضى الله: «ليُنر بوجهه علينا» (آية 1ج). يطلب رضى الرب بأن ينير عليه وعلى سائر المؤمنين فيبتسم لهم ليدركوا أنه راضٍ عنهم، ويتحقق لهم الوعد «يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك» بنور المسيح الذي قال: «أنا هو نور العالم. من يتبعني فلا يمشي في الظلمة، بل يكون له نور الحياة.. ما دمتُ في العالم فأنا نور العالم» (يو 8: 12 و9: 5).

وينير الرب بوجهه علينا عندما يرشدنا، لأن الله الذي قال أن يشرق نورٌ من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح (2كو 4: 6). لقد أشرق الله على الأرض الخربة والخالية بنوره فغمرها بالحياة والجمال، وهكذا يفعل بالخاطئ التائب.

ثانياً- المؤمنون يباركون العالم
(آيات 2-7)

ما أهمَّ وجود المؤمنين في العالم. إنهم ملح الأرض ونور العالم. ولو كان هناك عشرة أتقياء في سدوم وعمورة لما حلَّ بهما الخراب والدمار بالنار والكبريت! (تك 18: 32) وكل الذين تحنن الله عليهم وباركهم وأنار حياتهم يباركون غيرهم ببركة سُباعية:

ا- يعرِّفون العالم طريق الرب: «لكي يُعرَف في الأرض طريقُك» (آية 2أ). كما يسقط المطر أولاً فوق التلال، فيصير أنهاراً تجري في الوديان، هكذا بركات الله لا تصل إلى البشر إلا بواسطة حياة المؤمنين المباركة، الذين أضاء نورهم قدام الناس، فرأوا أعمالهم الحسنة ومجدوا أباهم الذي في السماوات (مت 5: 16) و«يُعرَف في الأرض طريقُه» لما يرونه لحمل أولاده على أجنحة النسور (خر 19: 4 وتث 32: 11) ويعتني بهم كما تعتني الأم برضيعها، فيحملهم من الرحم وإلى الشيخوخة، فيرفع ويحمل وينجي (إش 49: 15 و46: 3-5).

2- يعرِّفون العالم خلاص الرب: «لكي يُعرَف.. في كل الأمم خلاصُك» (آية 2 ب). هذه نبوة عن وصول خلاص الله إلى كل العالم، لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر (إش 11: 9 وحب 2: 14). وعندما يرى الأمم كيف تغيَّرت حياة المؤمن يفهمون معنى خلاص الله، ويدركون معنى الولادة الجديدة. وخلاص الله يظهر في الفداء، والعناية، والنصر. ويقول الله عن خلاص شعبه: «أردُ سبي.. إسرائيل وأبنيهم كالأوَّل، وأطهِّرهم من كل إثمهم الذي أخطأوا به إليَّ، وأغفر كل ذنوبهم التي أخطأوا بها إليَّ وعصوا بها عليَّ، فتكون لي اسم فرح للتسبيح وللزينة لدى كل أمم الأرض الذين يسمعون بكل الخير الذي أصنعه معهم، فيخافون ويرتعدون من أجل كل الخير، ومن أجل كل السلام الذي أصنعه لها» (إر 33: 7-9).

3- يُلهمون العالم حمد الرب: «يحمدك الشعوب يا الله. يحمدك الشعوب كلهم» (آية 3). وتتكرر الكلمات نفسها في الآية 5. فعندما يرى العالم رحمة الله وبركته وإشراقه على شعبه يسبِّحونه، وعندما يتمتعون بخلاصه يحمدونه. لهذا يدعو المرنم الناس في مز 117 «سبحوا الرب يا كل الأمم. حمدوه يا كل الشعوب، لأن رحمته قد قويت علينا وأمانة الرب إلى الدهر. هللويا». «ترنَّمي أيتها السماوات وابتهجي أيتها الأرض. لتُشِد الجبال بالترنُّم، لأن الربَّ قد عزَّى شعبه وعلى بائسيه يترحَّم» (إش 49: 13).

4- يفرِّحون العالم بعدالة الرب: «تفرح وتبتهج الأمم لأنك تدين الشعوب بالاستقامة» (آية 4أ). يسمع الله كل مسكين صارخ من الظلم فينصفه، فيفرح المعذَّبون في الأرض بالعدالة الإلهية. يجلس الرب على عرشه ويملك بالبر والعدل، ويدين الشعوب. «يملك ملكٌ وينجح، ويُجري حقاً وعدلاً في الأرض.. وهذا هو اسمه الذي لم يدعونه به: الرب برُّنا» (إر 23: 5، 6). ولقد تنبأ إشعياء بأنه «يخرج قضيبٌ من جذع يسى وينبُت غصنٌ من أصوله، ويحل عليه روح الرب: روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب. ولذَّته تكون في مخافة الرب فلا يقضي بحسب نظر عينيه، ولا يحكم بحسب سمع أذنيه، بل يقضي بالعدل للمساكين ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض.. ويكون البر منطقة مَتنيه والأمانة منطقة حقويه» (إش 11: 1-5).

5- يفرِّحون العالم بهداية الرب: «أمم الأرض تهديهم» (آية 4ب). البشر بطبيعتهم جُهال، ظلومون، كفارون، مائتون بالخطايا، منفصلون عن الرب. وعندما يهتدي خاطئٌ بفضل تحنُّن الله وبركته ورضاه يكون نموذجاً حياً ملموساً للنعمة المخلِّصة، يعطي النفس البعيدة الأمل في الخلاص والاهتداء، لأنه يبرهن أن ليس عند الرب مستحيلات في الرحمة، وأن باب النعمة مفتوح لا ينغلق أبداً، وأن من يُقبل إلى الرب لا يخرجه خارجاً، كما قال الرسول بولس: «رُحِمتُ لأني فعلت بجهلٍ في عدم إيمان.. ليُظهِر يسوعُ المسيح في أنا أولاً كل أناة، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية» (1تي 1: 13-16).

6- يفرِّحون العالم بعطايا الرب: «الأرض أعطت غلتها. يباركنا الله إلهنا» (آية 6). لما دخلت الخطية إلى العالم لُعنت الأرض ولكن الخليقة ستُعتق من عبودية الفساد (رو 8: 21). ويقول الله: «إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها، أُعطي مطركم في حينه، وتعطي الأرض غلتها. وتعطي أشجار الحقل أثمارها، ويلحق دراسكم بالقطاف، ويلحَقُ القطاف بالزرع، فتأكلون خبزكم للشبع، وتسكنون في أرضكم آمنين» (لا 26: 3-5). «الرب يعطي الخير، وأرضنا تعطي غلَّتها. البرُّ قدامه يسلك، ويطأ في طريق خطواته» (مز 85: 12، 13).

7 - يباركون العالم بخوف الرب: «يباركنا الله، وتخشاه كل الأرض» (آية 7). هناك نعمة عامة وأخرى خاصة. النعمة العامة تشمل الشعب كله، أما النعمة الخاصة فهي العلاقة الشخصية بالرب. ونتيجة لحياة المؤمنين الصالحة يعرف بعض الناس الرب معرفة شخصية خلاصية، ويدرك الباقون أن حياة الصلاح هي الجديرة بالاحترام، ولو أنهم لا يسعون للحصول عليها!

أقام إسحاق في جرار، وأعطاه الله مئة ضعف من الحصاد «فتعاظم الرجل وكان يتزايد في التعاظم حتى صار عظيماً جداً». فحسده جيرانه وقاوموه، ولكن الله باركه أكثر، فجاءه أعداؤه يقولون: «رأينا أن الرب كان معك، فقُلنا ليكن بيننا حِلفٌ بيننا وبينك، ونقطع معك عهداً» (تك 26: 28).

ولا بد أن الأرض كلها تخشى الرب، فتتحقَّق هذه الطلبة، ويجيء الوقت الذي تجثو فيه للمسيح كل ركبة ممن في السماء وعلى الأرض، فهو المخلِّص، والقاضي العادل.

هل نلت نِعَمَ الله الثلاث من تحنُّن وبركة واستنارة، حتى تصبح بركة للعالم من حولك؟

اَلْمَزْمُورُ الثَّامِنُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ. مَزْمُورٌ. تَسْبِيحَةٌ

1يَقُومُ اللهُ. يَتَبَدَّدُ أَعْدَاؤُهُ، وَيَهْرُبُ مُبْغِضُوهُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِهِ. 2كَمَا يُذْرَى الدُّخَانُ تُذْرِيهِمْ. كَمَا يَذُوبُ الشَّمْعُ قُدَّامَ النَّارِ يَبِيدُ الأَشْرَارُ قُدَّامَ اللهِ، 3وَالصِّدِّيقُونَ يَفْرَحُونَ. يَبْتَهِجُونَ أَمَامَ اللهِ، وَيَطْفِرُونَ فَرَحاً.

4غَنُّوا لِلَّهِ. رَنِّمُوا لاسْمِهِ. أَعِدُّوا طَرِيقاً لِلرَّاكِبِ فِي الْقِفَارِ بِاسْمِهِ يَاهْ، وَاهْتِفُوا أَمَامَهُ. 5أَبُو الْيَتَامَى وَقَاضِي الأَرَامِلِ اللهُ فِي مَسْكَنِ قُدْسِهِ. 6اَللهُ مُسْكِنُ الْمُتَوَحِّدِينَ فِي بَيْتٍ. مُخْرِجُ الأَسْرَى إِلَى فَلاَحٍ. إِنَّمَا الْمُتَمَرِّدُونَ يَسْكُنُونَ الرَّمْضَاءَ.

7اَللهُمَّ، عِنْدَ خُرُوجِكَ أَمَامَ شَعْبِكَ، عِنْدَ صُعُودِكَ فِي الْقَفْرِ – سِلاَهْ. 8الأَرْضُ ارْتَعَدَتِ. السَّمَاوَاتُ أَيْضاً قَطَرَتْ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ. سِينَاءُ نَفْسُهُ مِنْ وَجْهِ اللهِ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ. 9مَطَراً غَزِيراً نَضَحْتَ يَا اللهُ. مِيرَاثُكَ وَهُوَ مُعْيٍ أَنْتَ أَصْلَحْتَهُ. 10قَطِيعُكَ سَكَنَ فِيهِ. هَيَّأْتَ بِجُودِكَ لِلْمَسَاكِينِ يَا اللهُ. 11الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ: 12«مُلُوكُ جُيُوشٍ يَهْرُبُونَ، يَهْرُبُونَ. الْمُلاَزِمَةُ الْبَيْتَ تَقْسِمُ الْغَنَائِمَ. 13إِذَا اضْطَجَعْتُمْ بَيْنَ الْحَظَائِرِ فَأَجْنِحَةُ حَمَامَةٍ مُغَشَّاةٌ بِفِضَّةٍ وَرِيشُهَا بِصُفْرَةِ الذَّهَبِ». 14عِنْدَمَا شَتَّتَ الْقَدِيرُ مُلُوكاً فِيهَا أَثْلَجَتْ فِي صَلْمُونَ.

15جَبَلُ اللهِ جَبَلُ بَاشَانَ. جَبَلُ أَسْنِمَةٍ جَبَلُ بَاشَانَ. 16لِمَاذَا أَيَّتُهَا الْجِبَالُ الْمُسَنَّمَةُ تَرْصُدْنَ الْجَبَلَ الَّذِي اشْتَهَاهُ اللهُ لِسَكَنِهِ؟ بَلِ الرَّبُّ يَسْكُنُ فِيهِ إِلَى الأَبَدِ. 17مَرْكَبَاتُ اللهِ رِبَوَاتٌ أُلُوفٌ مُكَرَّرَةٌ. الرَّبُّ فِيهَا. سِينَا فِي الْقُدْسِ. 18صَعِدْتَ إِلَى الْعَلاَءِ. سَبَيْتَ سَبْياً. قَبِلْتَ عَطَايَا بَيْنَ النَّاسِ، وَأَيْضاً الْمُتَمَرِّدِينَ لِلسَّكَنِ أَيُّهَا الرَّبُّ الإِلَهُ.

19مُبَارَكٌ الرَّبُّ يَوْماً فَيَوْماً. يُحَمِّلُنَا إِلَهُ خَلاَصِنَا. سِلاَهْ. 20اَللهُ لَنَا إِلَهُ خَلاَصٍ، وَعِنْدَ الرَّبِّ السَّيِّدِ لِلْمَوْتِ مَخَارِجُ. 21وَلَكِنَّ اللهَ يَسْحَقُ رُؤُوسَ أَعْدَائِهِ، الْهَامَةَ الشَّعْرَاءَ لِلسَّالِكِ فِي ذُنُوبِهِ. 22قَالَ الرَّبُّ: «مِنْ بَاشَانَ أُرْجِعُ. أُرْجِعُ مِنْ أَعْمَاقِ الْبَحْرِ، 23لِكَيْ تَصْبُغَ رِجْلَكَ بِالدَّمِ. أَلْسُنُ كِلاَبِكَ مِنَ الأَعْدَاءِ نَصِيبُهُمْ». 24رَأَوْا طُرُقَكَ يَا اللهُ، طُرُقَ إِلَهِي مَلِكِي فِي الْقُدْسِ. 25مِنْ قُدَّامِ الْمُغَنُّونَ. مِنْ وَرَاءِ ضَارِبُو الأَوْتَارِ. فِي الْوَسَطِ فَتَيَاتٌ ضَارِبَاتُ الدُّفُوفِ. 26فِي الْجَمَاعَاتِ بَارِكُوا اللهَ الرَّبَّ أَيُّهَا الْخَارِجُونَ مِنْ عَيْنِ إِسْرَائِيلَ. 27هُنَاكَ بِنْيَامِينُ الصَّغِيرُ، مُتَسَلِّطُهُمْ رُؤَسَاءُ يَهُوذَا، جُلُّهُمْ رُؤَسَاءُ زَبُولُونَ، رُؤَسَاءُ نَفْتَالِي. 28قَدْ أَمَرَ إِلَهُكَ بِعِزِّكَ. أَيِّدْ يَا اللهُ هَذَا الَّذِي فَعَلْتَهُ لَنَا. 29مِنْ هَيْكَلِكَ فَوْقَ أُورُشَلِيمَ لَكَ تُقَدِّمُ مُلُوكٌ هَدَايَا. 30انْتَهِرْ وَحْشَ الْقَصَبِ، صِوَارَ الثِّيرَانِ مَعَ عُجُولِ الشُّعُوبِ الْمُتَرَامِينَ بِقِطَعِ فِضَّةٍ. شَتِّتِ الشُّعُوبَ الَّذِينَ يُسَرُّونَ بِالْقِتَالِ. 31يَأْتِي شُرَفَاءُ مِنْ مِصْرَ. كُوشُ تُسْرِعُ بِيَدَيْهَا إِلَى اللهِ.

32يَا مَمَالِكَ الأَرْضِ غَنُّوا لِلَّهِ. رَنِّمُوا لِلسَّيِّدِ. سِلاَهْ. 33لِلرَّاكِبِ عَلَى سَمَاءِ السَّمَاوَاتِ الْقَدِيمَةِ. هُوَذَا يُعْطِي صَوْتَهُ، صَوْتَ قُوَّةٍ. 34أَعْطُوا عِزّاً لِلَّهِ. عَلَى إِسْرَائِيلَ جَلاَلُهُ وَقُوَّتُهُ فِي الْغَمَامِ. 35مَخُوفٌ أَنْتَ يَا اللهُ مِنْ مَقَادِسِكَ. إِلَهُ إِسْرَائِيلَ هُوَ الْمُعْطِي قُوَّةً وَشِدَّةً لِلشَّعْبِ. مُبَارَكٌ اللهُ!

انتصار في الماضي والمستقبل

هذا المزمور تسبيحة شكر على انتصار حدث، يؤكد فيه المرنم أن الرب الذي منح شعبه النصر في الماضي سيهزم كل مقاوميهم في المستقبل، حتى تصبح ممالك العالم كلها للرب، تتعبُّد له. ففي الماضي وشقَّ لهم طريقاً في البحر، وقادهم في البرية أربعين سنة إلى أن جاء بهم إلى أرض الموعد، وقسَّم لهم الأرض، ثم اختار أورشليم لتكون عاصمة مملكة داود، وفيها بنى سليمان هيكل الرب. وهذه الانتصارات المجيدة برهانٌ على أمانة الله لوعوده التي لا تتغيَّر، فسينصر الله شعبه لينتقم من أعدائه، ويُظهِر قوته ليسبّحه الجميع.

يؤكد لنا هذا المزمور أن النصر النهائي هو للرب، فكل سلطان في السماء وعلى الأرض هو سلطانه وحده. وكل من يجعل قضية الرب قضيته ينتصر بقوة الرب.

كان اليهود يرنمون هذا المزمور في مجامعهم في أعياد الخمسين، وكانت الكنيسة الأولى تدعوه «مزمور يوم الخمسين» لأن الرسول بولس اقتبس الآية 18 منه (في أف 4: 8) ليخبر عن البركات التي منحها المسيح الذي قام من الأموات وصعد إلى السماء، لكنيسته. إنه مزمور حلول البركات، ومزمور الانتصارات القادمة، ومزمور إقبال الشعوب إلى ملكوت الله. إنه مزمور التسبيح للرب الذي يسير معنا، ويرثي لضعفاتنا، ويهيء لنا البركات الحاضرة والمجد الأبدي.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – نَصْرٌ في الماضي (آيات 1–18)

ثانياً – نَصْرٌ في المستقبل (آيات 19–35)

أولاً ـ نصرٌ في الماضي
(آيات 1-18)

1 - مقدمة: (آيات 1–6).

(أ) مجيء الرب يُفرح شعبه ويُرعب أعداءه: (آيات 1–3).

اقتبس المرنم هذه الآيات الثلاث التي افتتح بها مزموره من كلمات موسى عند ارتحال تابوت العهد: «قُم يا رب، فلتتبدّد أعداؤك، ويهرب مبغضوك من أمامك» (عد 10: 35). والتابوت رمزٌ لحضور الرب وسط شعبه، والله نارٌ آكلة، يجعل أعداءه دخاناً يتبدَّدون في الهواء، ويذوبون كالشمع أمام النار التي لا يقدرون أن يقاوموها! يتبددون فيختفون «كسحاب الصبح وكالندى الماضي باكراً. كعُصافة تُخطَف من البيدر، وكدخانٍ من الكوَّة» (هو 13: 3). أما شعبه المنتمي إليه، المحتمي به، الثابت فيه، فيفرحون ويبتهجون ويقفزون شكراً وتهليلاً.

وإن كان الأبرار يحزنون كثيراً بتجارب متنوعة، لكنهم أمام الرب يفرحون كالفرح في الحصاد، وكالذين يقتسمون غنيمة، لأنه يمتعهم بفرح لا يُنطَق به ومجيد «نورٌ قد زُرع للصدِّيق، وفرحٌ للمستقيمي القلب» (مز 97: 11). سيُعاقَب الأشرار بهلاك أبدي من وجه الرب ومن مجد قوته، متى جاء ليَتمجَّد في قديسيه، ويُتعجَّب منه في جميع المؤمنين (2تس 1: 9، 10). وعندما يجيء المسيح لا بد أن ينهزم العدو القوي، إذ يقيّده الأقوى منه ويطلق أسراه أحراراً «أم كيف يستطيع أحدٌ أن يدخل بيت القوي وينهب أمتعته إن لم يربط القوي أولاً؟» (مت 12: 29).

(ب) فليسبِّحه الجميع: (آيات 4–6).

يطلب المرنم أن يسبِّح الجميع الرب. «غنوا لله. رنموا لاسمه» (آية 4أ). ويذكر أسباب ذلك:

* يسبِّحونه لأنه «الراكب في القفار» (آية 4ب) ليصل إلى مقاومي شعبه، وأمامه «صوت صارخٍ في البرية: أَعِدّوا طريق الرب. قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا» (إش 40: 3). «يركب السماءَ في معونتك والغمامَ في عظمته» (تث 33: 26).

* يسبِّحونه لأنه «ياه» (مختصر يهوه) (آية 4ج). هو الكائن منذ الأزل، الدائم الوجود، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. «ياه» نبع الحياة، الذي يحمل اسمه معنى القوة والمحبة معاً. هو «ياه» الخروج والتحرير، الذي غنوا له: «الرب قوَّتي ونشيدي وقد صار خلاصي» (خر 15: 2).

* يسبِّحونه لأنه «أبو اليتامى وقاضي الأرامل» (آية 5أ). فمع كل هذه العظمة الإلهية يعتني بمن لا يعتني بهم أحد، وبمن لا أصدقاء لهم، وليس لهم من يحميهم، ويقيم وزناً لمن لا قيمة اجتماعية لهم! كان بنو إسرائيل كاليتامى في صحراء سيناء، فكان أباهم الذي أطعمهم، وسدَّد أعوازهم، حتى أن ثيابهم ونعالهم لم تَبْلَ (تث 29: 5).

* يسبِّحونه لأنه «في مسكن قدسه» (آية 5ب) الذي هو السماء، فيقولون له: «اطَّلِع من مسكن قدسك من السماء وبارك شعبك» (تث 26: 15). الرب في هيكل قدسه. الرب في السماء كرسيُّه (مز 11: 4) «فلنتقدَّم بثقة إلى عرش النعمة لكي ننال رحمة (فلا يعاقبنا بما نستحق) ونجد نعمة (فيمنحنا ما لا نستحق) عوناً في حينه» (عب 4: 16).

* يسبِّحونه لأنه «مُسكِن المتوحِّدين في بيت» (آية 6أ) الذي يبدّد وحدة الوحيد ويُسكنه في بيت عامر بمن يحبونه. كان بنو إسرائيل غرباء في مصر، وسكنوا وسط شعوب وثنية، فأسكنهم الله في أمن وطمان. وكان داود مطروداً غريباً فأجلسه على العرش وبنى له بيتاً.

* يسبِّحونه لأنه «مُخرِج الأسرى إلى فلاح» (آية 6ب) فيعطيهم الحرية والرخاء. وهذا ما جرى في الخروج عندما نقلهم من عبودية فرعون إلى حرية عبادته، و«إن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8: 36).

* يسبِّحونه لأنه عادل يعاقب الأشرار «إنما المتمرِّدون يسكنون الرمضاء» (آية 6ج). والرمضاء هي الأرض القاحلة ذات الحجارة الحامية التي سخَّنتها أشعة الشمس المحرقة، فتكتوي بها قدما المتمرِّد ولا يجد راحة!

2 - نَصَر اللهُ شعبَه عبر العصور: (آيات 7-18).

ذكر المرنم ثلاثة أمثلة من تاريخ بني إسرائيل عن نصرة الله لشعبه:

(أ) النصرة الأولى - نصرة الخروج: (آيات 7-10).

عندما أخرج الرب شعبه ارتعدت الأرض، وقطرت السماء. «كان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحاب ليهديهم في الطريق، وليلاً في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهاراً وليلاً». «أنت يا رب قد ظهرتَ لهم عيناً لعين، وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائرٌ أمامهم بعمود سحاب نهاراً وبعمود نار ليلاً» (خر 13: 21 وعد 14: 14). وعندما أعطاهم الشريعة تجلى على جبل سيناء فصارت رعودٌ وبروقٌ وسحابٌ ثقيل على الجبل وصوت بوقٍ شديد (خر 19: 16). وترنَّمت دبورة وباراق بعد نصرهما قائلين: «يا رب، بخروجك.. الأرضُ ارتعدت. السماوات أيضاً قطرت» (قض 5:4) فقد صاحب المطرُ الغزيرُ البرقَ والرعدَ. يسير الرب معك في كل درب تسير فيه، فإذا تعبت يحملك كما يحمل الأب ابنه!

«ميراثك وهو مُعْيِ أنت أصلحتَه» (آية 9) فلما كان الشعب في قمة الإعياء، أمطر عليهم المن وأعطاهم السلوى (خر 16: 4) فأشبعهم من السماء بعد جوع، ورواهم من الصخرة بعد عطش، وقادهم بعمود السحاب والنار في طريقٍ لم يسبق لهم أن جازوا فيها (تث 8: 2).

ويُختَتَم هذا الجزء بالقول: «هيّأتَ بِجودك للمساكين يا الله» (آية 10) فمنحهم من فرط جوده وإحسانه كل ما احتاجوا إليه، وهم المستضعَفون في الأرض، الذين سامهم فرعون سوء العذاب.

(ب) النصرة الثانية - امتلاك أرض كنعان: (آيات 11-14).

بعد أن عبر بنو إسرائيل صحراء سيناء، ووصلوا مشارف أرض الموعد، قال الرب «كلمةً» حملت كل سلطانه، فجاءت النصرة في الحال لشعبٍ قليل يحارب أمماً كبيرة العدد عظيمة العتاد الحربي، فنصرهم وهم أَذِلَّة. ولما جاءهم النصر خرج جيشٌ من السيدات يبشّرن بالنصر مرنّمات، كما سبق أن رنمت مريم النبيّة أخت هارون وموسى ترنيمة «الفرس وراكبه» (خر 15) وكما رنمت دبورة قاضية إسرائيل بعد ذلك نشيدها «أنا أنا، للرب أترنَّم» (قض 5: 3) وكما رنمت ابنة يفتاح الجلعادي بالدفوف والرقص (قض 11: 34) وكما رنمت نساء بني إسرائيل بعد موت جليات «ضرب شاول ألوفه وداود ربواته» (1صم 18: 7). والنساء عادةً يفرحن بالنصر، لأن رجالهن انتصرن في الحرب، ولأنهن صرن في أمان من خطورة الأعداء، ولأنهن سيقتسمن الغنائم التي عاد بها رجالهن.

ويقول المرنم: «إذا اضطجعتم بين الحظائر فأجنحة حمامة مُغشَّاةٌ بفضة، وريشها بصُفرة الذهب» (آية 13) وبهذا يشبِّه المرنم شعب الله المنتصر بالحمامة الوديعة وقد تحلّت وتزيّنت بما ربحته من غنائم فضية وذهبية، فاستلقت استلقاء المنتصر المطمئن. وسطعت أشعة شمس الصباح على الغنيمة الثمينة فلمعت على بِشرة المبشّرات بالنصر، فكان لون بِشرتهن كريش الحمامة.

ثم يقول: «عندما شتَّت القدير ملوكاً فيها، أُثلجَت في صلمون» (آية 14). وربما يشير المرنم بهذا إلى موقعة حربية لا نعرف قصتها، شتَّت الله فيها الأعداء بعاصفة ثلجية غطت جبل صلمون، وهو جبل بالقرب من شكيم (نابلس) كانت تغطيه الغابات الكثيفة. ومعنى كلمة «صلمون» مظلم، ولعله استمد اسمه من كثرة أشجار غاباته وتشابكها، فصار غابة سوداء. ولكن في يوم المعركة تحوّل الجبل إلى بياض الثلج!

ولعل المرنم يشير بالثلج الذي نزل على صلمون إلى قوة الله ونقاء أفعاله، فالثلج يشير للبياض والنقاء. وقد شـبَّت الله الملوك بقداسته وقوته ومهابته.

وقد يشير إلى تغيير قلوب بني إسرائيل بعد أن غيِّر ظلمة متاعبهم إلى نور، وجعل القلوب الخاطئة الخائفـة السـوداء تبيَضّ كالثلج (إش 1: 18).

وقد يشير الثلج إلى عِظام جنود الأعداء البيضاء الذين سقطوا قتلى في المعركة، فتغطت بهم قمة صلمون. «فيخـافون مِن المغرب اسمَ الرب، ومِن مشرق الشمسِ مجدَه. عندما يأتي العدو كنهر فنفخة الرب تدفعه» (إش 59: 19).

(ج) النصرة الثالثة ـ اختيار جبل صهيون: (آيات 15-18).

يتحدث المرنم عن نصرة داود في الحصول على جبل صهيون من اليبوسيين، ثم إقامة سليمان الهيكل عليه. لقد كانت في الأرض المقدسة جبال شامخة يمكن أن يُقام الهيكل عليها. كان هناك «جبل باشان» الذي يدعوه المـرنم هنـا «جبـل إلوهيم» (ومن معاني إلوهيم: شامخ). وكان هناك «جبل حوران» بقممه العالية وصخوره البركانية السوداء. وكان هنـاك «جبل سيناء» الذي كان يحتل مكانة خاصة في تاريخ بني إسرائيل لأن موسى تلقّى عليه الشريعة، ولكنه كان مسكناً مؤقتاً لله، غطاه السحاب «ستة أيام» (خر 24: 16). ولكن الله في نعمته اختار «جبل صهيون» بصخوره الطباشيرية. فأخـذت الجبال القوية الجرانيتية «ترصد» الجبل الطباشيري بحسد، لأن هيكل الرب بُني عليه ولم يُبنَ عليها، وفي الهيكل حل مجد الرب. وهذا درسٌ لنا في اختيار النعمة، فقد اختار الله ضعفاء العالم وأدنياءه ليُخزي مَن يظنّون أنفسهم أغنيـاء عظمـاء حكماء (1كو 1: 27-30) وهذا من عمل نعمته (أف 4: 8).

وتقول آية 17 «مركبات الله ربْوات، ألوفٌ مكرَّرة. سينا في القُدس». ومركبات الله هم الملائكة الذين رآهـم أليشـع (2مل 6: 17) يُظهِر الرب فيهم قوته إذ يخدمون المؤمنين. أما القول «سينا في القدس» فتعني أن جبل صهيون صار مثل جبل سيناء في القداسة، وفي أنهما كليهما مصدر الشريعة. كما تعني أن جبل صهيون حل محل جبل سيناء. «لأنـه مِـن صهيون تخرج الشريعة ومِن أورشليم كلمة الرب» (إش 2: 3).

أما الآية 18 فتقول: «صعِدتَ إلى العلاء. سبيتَ سبياً. قبلتَ عطايا بين الناس، وأيضاً المتمردين للسكن أيهـا الـرب الإله». ربما قصد المرنم بكلمة «العلاء» «مرتفع صهيون» (إر 31: 12) حيث يوجد تابوت العهد بعد أن أصـعدوه إلـى جبل صهيون الذي أخذه داود من اليبوسيين بعد أن هزمهم (2صم 6: 12-19 و1أي 15: 11-28). وربمـا قصـد بهـا «السماء» فيكون المعنى أن الله «نزل» لينصر شعبه، ثم صعد إلى سماواته بانتصار، بعد أن سبى أعداء شـعبه وأخـذهم أسرى، أو بعد أن جعل شعبه أسرى محبته الفائقة، أو للسبيين معاً.. فقَبِل عطايا بين الناس: إمّا بمعنى أنه قَبِل الجزية التي يدفعها المغلوب للمنتصر، أو أنه قَبِل عطايا الحب التي قدَّمها شعب الله لبناء الهيكل، أو أنه قبِل الاثنـين. وقـد قبِـل الله المتمرِّدين الوثنيين الذين خضعوا طوعاً أو كَرْهاً، فصاروا تحت الحماية الإلهية. ولعل المرنم يقصد بالمتمرِّدين الجيل الذي تاه في الصحراء أربعين سنة، فأماتهم الله في البرية، وجاء أبناؤهم من بعدهم يعترفون بفضل الله الذي نصر شعبه.

وقد اقتبس الرسول بولس معاني آية 18 في قوله: «إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى. الذي نزل هو الذي صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكـي يمـلأ الكل. وهو أعطى البعض أن يكونوا..» (أف 4: 8-11). وهو يقصد أن المسيح الذي نزل ليفدي شعبه، أخذ صورة عبد، وصار في شِبه الناس، ومات موت الصليب. وبالصليب انتصر جهاراً على عدوه إبليس وأشهره وجنـوده (كـو 2: 15) بالقيامة من الأموات وبالصعود إلى «العلاء» فخضع له شعبه وأعداؤه، وسجد له الجميع واعترفوا بألوهيته. ومنح شـعبه عطايا روحية، منها عطية الروح القدس الذي يمنحهم النصرة الروحية على أعـدائهم (أعمـال 1: 8) ومواهـب النعمـة الإلهية، والصُحبة السماوية (مت 28: 20). «مضى إلى السماء وملائكة وسلاطين وقوات مخضعة له» (1بط 3: 22).

ثانياً ـ نصر في المستقبل
(آيات 19-35)

تعيش بعض الشعوب في أمجاد الماضي وبؤس الحاضر. تتغنَّى بأمجاد الأجداد التي صارت تاريخـاً، دون أن تُبـدِع حاضراً لنفسها ولا مستقبلاً لأبنائها! أما الشعب الذي ينتمي للرب حقاً فإنه يتغنى بالماضي المجيـد، والحاضـر العظـيم،

والمستقبل الموعود، لأن الله هو هو أمساً واليوم إلى الأبد (عب 13: 8). والمرنم الذي عاش عظمة الماضي في مزمورنا، يعيش عظمة الحاضر، ويقول: «مبارك الرب يوماً فيوماً».

ويتغنى المرنم بأربعة أمور عن المستقبل:

1 - سينصر الرب شعبه على أعدائهم: (آيات 19-23).

(أ) يخلِّص الله شعبه: «يُحمِّلنا إلهُ خلاصنا. الله لنا إله خلاص، وعند الرب السيد للموت مخارج» (آيتا 19، 20). الفعل «يُحمِّلنا» قد يعني أنه يسمح لنا أن نحتمل ألماً. فهو يسمح لنا بالألم والصعوبة، لكنه لا يتركنا نحمل وحدنا، بل يحمل معنا. في العالم متاعب ولكننا نثق أننا نغلب العالم، وذلك بفضل خلاصه لنا من أعدائنا، فيُخرجنا بطرق عديدة من الموت الذي يدبرونه لنا (يو 16: 33). فإن له مفاتيح الهاوية والموت (رؤ 1: 18) وهو «الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي، الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 10).

وقد يعني المرنم بالفعل «يحمِّلنا» أنه يضع علينا نيره الهيِّن وحِمله الخفيف، فيطالبنا أن نحمل مسؤولية خدمته، وأن نطيع وصاياه، وهي ليست ثقيلة لأننا نحبه، وذلك بفضل خلاصه لنا من خطايانا، فينقذنا من أجرة الخطية التي هي موت، وينقذنا من سطوة الخطية وسلطانها (مت 11: 29). وقد يعني المرنم أن الله يحمِّلنا بالعطايا والبركات، كشجرة مثمرة تعطي مئة ضعف، فيجعلنا مثمرين، وينقِّينا لنأتي بثمر أكثر، وذلك بفضل خلاصنا من ضعفاتنا الروحية بملء الروح لنا، فلا نُطرح خارجاً كالغصن غير المثمر، فنجف ونُطرح في النار فنحترق (يو 15: 2).

(ب) سيخلِّصهم بالرغم من ضراوة الأعداء: (آيات 21-23). ما أشدَّ ضراوة العدو، فرؤوسهم «شعراء» بمعنى أنهم لم يحلقوا شعورهم. وهذا ما كان يفعله النذير الذي يخصص نفسه لهدفٍ نوى أن يحقِّقه، فلا يحلق شعره إلا بعد أن يوفي نذره ويحصل على مراده. والنذر هنا هو قتل شعب الرب، فيسلك الأعداء في ذنوبهم. يسحق الرب رؤوس الأعداء المغطاة بالشعر العالي رمز التصميم وعلامة الكبرياء.

ويقول الرب: «من باشان أُرجِع (الأعداء فلا يهربون). أُرجِع من أعماق البحر» (آية 22). لقد هاجم فرعون شعب الله فغرق جيشه في لجَّة البحر (خر 15) وهاجمهم عوج ملك باشان فدمَّره الله (تث 3: 1-11) والتاريخ يعيد نفسه. لا بد أن تنسحق قوة فرعون وعوج وأمثالهما أمام خلاص الرب، فتصطبغ أرجل شعب الرب بدم أعدائهم، وتلحس ألسنة كلابهم تلك الدماء، كما حدث في موت أخآب وإيزابل (1مل 21: 19 و22: 38 و2مل 9: 36). لن ينجو الأعداء من عقاب الرب. «إن نقبوا إلى الهاوية فمن هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمن هناك أُنزِلهم. وإن اختبأوا في رأس الكرمل فمن هناك أفتِّش وآخذهم، وإن اختفوا من أمام عينيَّ في قعر البحر فمن هناك آمر الحيَّة فتلدغهم» (عا 9: 2، 3).

2 - سيشكر الشعبُ الرب على النصر: (آيات 24-27).

تصف هذه الآيات موكب شكر يتَّجه نحو هيكل الله ليشكر على الانتصارات القديمة، والجديدة والمستقبَلِيَّة. لقد أنقذهم الله من أعداءٍ قساة جبابرة، مثل فرعون وعوج، كانوا مُصمِّمين على إهلاكهم، وأنقذهم أخيراً بما وصفوه في الآيات 21-23. ولا بد أن ينقذهم مستقبلاً، فإن طرق الرب هي طرق الانتصار والقداسة، وهي طرق صاحب السلطان في السماء وعلى الأرض.

وإذ يحتفل الشعب بالشكر يتقدّم المغنون، تتبعهم الراقصات، فالعازفون، كما فعلت مريم النبية يوم الاحتفال بالخروج، وهم يباركون الرب الذي يدعوه المرنم «عين إسرائيل» (آية 26) بمعنى أنهم به يحيون ويتحركون ويوجدون، لأنه خالقهم وضامنهم (أع 17: 28).

ووسط الشاكرين الهاتفين «بنيامين الصغير» ومن هذا السبط جاء الملك الأول شاول، و«يهوذا الحاكم» ومنه داود وسليمان والمسيا الآتي. وكانت أرض سبطي بنيامين ويهوذا تقع في الجنوب. وبين الشاكرين الهاتفين سبطا زبولون ونفتالي، وكانت أرضاهما تقع في الشمال، وهما المتخصّصان في الحرب، وقد مدحتهما دبورة في نشيدها المشهور (قض 5: 18). وهنا نلاحظ كيف يرى المرنم حاضره في نور ماضيه، متأكداً من مستقبله، فيُنهِض القلوب بقوله: «في الجماعات باركوا الله» (آية 26).

3 - سيصلي الشعبُ طالبين إظهار قوة الله للأمم: (آيات 28–31).

في آيتي 28، 29 يطالب المرنم الرب أن يؤيد ما فعله لشعبه، فالذي أعطانا الحياة يؤيدنا بأن يهبنا حياةً أفضل. إنه يبدأ عملاً صالحاً ويكمله بتأييده «لأنه إن كنّا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه، فبالأَولى كثيراً ونحن مُصالحون، نخلُص بحياته» (رو 5: 10). وكلما قبِلنا النعمة التي يعطيها الله لنا يعطينا نعمة أكبر «ونعمة فوق نعمة» (يو 1: 16).

يؤكد المرنم أن الله قد أمر بالعزِّ والقوة لشعبه، ويطلب التأييد الإلهي ليستمرَّ النصرُ لشعب الله، بأن يُخضِع كل المقاومين، فيجيء الملوك المهزومون يقدمون هداياهم للرب في هيكله تعبيراً عن خضوعهم، كما تنبأ النبي إشعياء: «في ذلك اليوم تُقدَّم هدية لرب الجنود من شعبٍ طويل وأجرد، ومن شعب مخوف منذ كان فصاعداً، من أمة ذات قوة وشدَّة ودَوْسٍ قد خرقت الأنهارُ أرضَها، إلى موضع اسم رب الجنود، جبل صهيون» (إش 18: 7).

ويطلب المرنم من الرب أن ينتهر «وحش القصب» (آية 30) أي التمساح أو فرس النهر، وهو كناية عن مصر بلاد القصب والبَردي، وأن ينتهر «صِوار الثيران مع عجول الشعوب» وهم الملوك الصغار مع شعوبهم، الذين يتنازعون ويتقاتلون للحصول على الفضة والغنائم. ويرمز الثور للكبرياء والتحدّي، بينما ترمز العجول للتَّبَعية والانقياد، مما يعني انقياد الشعوب لملوكهم المتكبرين الذين يقودونهم للحروب أملاً في الغنائم.

وتقول آية 31 إن شرفاء مصر ونبلاءها يأتون مع أهل كوش خاضعين لله. وترمز مصر لأعداء الشعب، وترمز كوش (الحبشة) للبلاد البعيدة. فيكون أن الأعداء، والبعيدين، يخضعون لله.وقد تحقق هذا كله يوم الخمسين عندما جاء ممثلو هذه الشعوب للمسيح، وسيتحقَّق بصورة أوضح عندما «تجثو باسم يسوع كل رُكبة ممَّن في السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب» (في 2: 10، 11).

4 - يدعو المرنم كل الشعوب لتسبّح الرب: (آيات 32–35).

يدعوهم المرنم لينضموا مع بني إسرائيل في ترتيلهم لله، فيقول: «يا ممالك الأرض غنّوا لله. رنِّموا للسيد» (آية 32). إنه الأزلي الأبدي الخالق صاحب السلطان في سمائه وعلى أرضه، فهو الخالق وضابط الكل، وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته. وهو الآمِر الناهي في كل مكان.

يستحق الإله الصالح كل التسبيح، فهو الإله القدير، صاحب السلطان الأزلي، الذي خلق السماوات والأرض وثبَّتها «الراكب على سماء السماوات القديمة» (آية 33). وهو إله العهد «إله إسرائيل» (آية 35) الذي أعطى قوةً وشدة لشعبه. «مبارك الله» القادر على كل شيء. «عادلة وحق هي طرقك يا ملك القديسين.. لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك» (رؤ 15: 3، 4).

اَلْمَزْمُورُ التَّاسِعُ وَالسِّتُّونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. عَلَى السَّوْسَنِ. لِدَاوُدَ

1خَلِّصْنِي يَا اللهُ، لأَنَّ الْمِيَاهَ قَدْ دَخَلَتْ إِلَى نَفْسِي. 2غَرِقْتُ فِي حَمْأَةٍ عَمِيقَةٍ وَلَيْسَ مَقَرٌّ. دَخَلْتُ إِلَى أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ وَالسَّيْلُ غَمَرَنِي. 3تَعِبْتُ مِنْ صُرَاخِي. يَبِسَ حَلْقِي. كَلَّتْ عَيْنَايَ مِنِ انْتِظَارِ إِلَهِي. 4أَكْثَرُ مِنْ شَعْرِ رَأْسِي الَّذِينَ يُبْغِضُونَنِي بِلاَ سَبَبٍ. اعْتَزَّ مُسْتَهْلِكِيَّ، أَعْدَائِي، ظُلْماً. حِينَئِذٍ رَدَدْتُ الَّذِي لَمْ أَخْطَفْهُ.

5يَا اللهُ، أَنْتَ عَرَفْتَ حَمَاقَتِي، وَذُنُوبِي عَنْكَ لَمْ تَخْفَ. 6لاَ يَخْزَ بِي مُنْتَظِرُوكَ يَا سَيِّدُ رَبَّ الْجُنُودِ. لاَ يَخْجَلْ بِي مُلْتَمِسُوكَ يَا إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، 7لأَنِّي مِنْ أَجْلِكَ احْتَمَلْتُ الْعَارَ. غَطَّى الْخَجَلُ وَجْهِي. 8صِرْتُ أَجْنَبِيّاً عِنْدَ إِخْوَتِي، وَغَرِيباً عِنْدَ بَنِي أُمِّي. 9لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي، وَتَعْيِيرَاتِ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ، 10وَأَبْكَيْتُ بِصَوْمِ نَفْسِي، فَصَارَ ذَلِكَ عَاراً عَلَيَّ. 11جَعَلْتُ لِبَاسِي مِسْحاً، وَصِرْتُ لَهُمْ مَثَلاً. 12يَتَكَلَّمُ فِيَّ الْجَالِسُونَ فِي الْبَابِ، وَأَغَانِيُّ شَرَّابِي الْمُسْكِرِ.

13أَمَّا أَنَا فَلَكَ صَلاَتِي يَا رَبُّ فِي وَقْتِ رِضًى. يَا اللهُ، بِكَثْرَةِ رَحْمَتِكَ اسْتَجِبْ لِي، بِحَقِّ خَلاَصِكَ. 14نَجِّنِي مِنَ الطِّينِ فَلاَ أَغْرَقَ. نَجِّنِي مِنْ مُبْغِضِيَّ وَمِنْ أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ. 15لاَ يَغْمُرَنِّي سَيْلُ الْمِيَاهِ، وَلاَ يَبْتَلِعَنِّي الْعُمْقُ، وَلاَ تُطْبِقِ الْهَاوِيَةُ عَلَيَّ فَاهَا. 16اسْتَجِبْ لِي يَا رَبُّ، لأَنَّ رَحْمَتَكَ صَالِحَةٌ. كَكَثْرَةِ مَرَاحِمِكَ الْتَفِتْ إِلَيَّ، 17وَلاَ تَحْجُبْ وَجْهَكَ عَنْ عَبْدِكَ، لأَنَّ لِي ضِيقاً. اسْتَجِبْ لِي سَرِيعاً. 18اقْتَرِبْ إِلَى نَفْسِي. فُكَّهَا. بِسَبَبِ أَعْدَائِي افْدِنِي. 19أَنْتَ عَرَفْتَ عَارِي وَخِزْيِي وَخَجَلِي. قُدَّامَكَ جَمِيعُ مُضَايِقِيَّ. 20اَلْعَارُ قَدْ كَسَرَ قَلْبِي فَمَرِضْتُ. انْتَظَرْتُ رِقَّةً فَلَمْ تَكُنْ، وَمُعَزِّينَ فَلَمْ أَجِدْ. 21وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً، وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ.

22لِتَصِرْ مَائِدَتُهُمْ قُدَّامَهُمْ فَخّاً، وَلِلآمِنِينَ شَرَكاً. 23لِتُظْلِمْ عُيُونُهُمْ عَنِ الْبَصَرِ، وَقَلْقِلْ مُتُونَهُمْ دَائِماً. 24صُبَّ عَلَيْهِمْ سَخَطَكَ، وَلْيُدْرِكْهُمْ حُمُوُّ غَضَبِكَ. 25لِتَصِرْ دَارُهُمْ خَرَاباً، وَفِي خِيَامِهِمْ لاَ يَكُنْ سَاكِنٌ. 26لأَنَّ الَّذِي ضَرَبْتَهُ أَنْتَ هُمْ طَرَدُوهُ، وَبِوَجَعِ الَّذِينَ جَرَحْتَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ. 27اِجْعَلْ إِثْماً عَلَى إِثْمِهِمْ، وَلاَ يَدْخُلُوا فِي بِرِّكَ. 28لِيُمْحَوْا مِنْ سِفْرِ الأَحْيَاءِ، وَمَعَ الصِّدِّيقِينَ لاَ يُكْتَبُوا.

29أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَكَئِيبٌ. خَلاَصُكَ يَا اللهُ فَلْيُرَفِّعْنِي. 30أُسَبِّحُ اسْمَ اللهِ بِتَسْبِيحٍ، وَأُعَظِّمُهُ بِحَمْدٍ، 31فَيُسْتَطَابُ عِنْدَ الرَّبِّ أَكْثَرَ مِنْ ثَوْرٍ بَقَرٍ ذِي قُرُونٍ وَأَظْلاَفٍ. 32يَرَى ذَلِكَ الْوُدَعَاءُ فَيَفْرَحُونَ، وَتَحْيَا قُلُوبُكُمْ يَا طَالِبِي اللهِ. 33لأَنَّ الرَّبَّ سَامِعٌ لِلْمَسَاكِينِ، وَلاَ يَحْتَقِرُ أَسْرَاهُ. 34تُسَبِّحُهُ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ الْبِحَارُ وَكُلُّ مَا يَدِبُّ فِيهَا. 35لأَنَّ اللهَ يُخَلِّصُ صِهْيَوْنَ، وَيَبْنِي مُدُنَ يَهُوذَا، فَيَسْكُنُونَ هُنَاكَ وَيَرِثُونَهَا. 36وَنَسْلُ عَبِيدِهِ يَمْلِكُونَهَا، وَمُحِبُّو اسْمِهِ يَسْكُنُونَ فِيهَا.

صرخة وسط الاضطهاد

مزمور 68 نشيد انتصار، ومزمور 69 صرخة أمل وسط الاضطهاد، فالحياة نسيجٌ من انتصار وضيق، نهار وليل، صليب وقيامة. يوماً نحقق النجاح ويوماً يصيبنا الفشل. ولكننا في هذه جميعها نلجأ إلى الله صارخين، فيعظم انتصارنا بالذي أحبنا (رو 8: 37). والمرنم يشكر الله على ما وهبه من نصر، ويعترف بالفضل لصاحب الفضل. وعندما تهاجمه المتاعب يلجأ لصاحب المراحم يطلب عونه، فإن بوصلة المؤمن مثبتّة نحو السماء. في نجاحه يتّجه إليها بالشكر، وفي ضعفه يلجأ إليها يلتمسون العون.

في هذا المزمور نجد:

أولاً- آلام المرنم (آيات 1-21)

ثانياً- ضعف المرنم (آيات 22-28)

ثالثاً- آمال المرنم (آيات 29-36)

أولاً – آلام المرنم
(آيات 1-21)

1 – شكوى من المتاعب: (آيات 1-4).

(أ) إنه غريق: «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلت نفسي» (آية ١). يشبه المرنم نفسه بغريق أحاطت به الأمواج، وعلَت مياهها على رأسه، ودخلت إلى نفسه، فصار كسفينة مثقوبة. إنه كيونان الذي صلى: «اكتنفتني مياهٌ إلى النفس. أحاط بي غمرٌ. التفَّ عشبُ البحر برأسي» (يون 2: 5) وكإرميا الذي قال: «طَفت المياه فوق رأسي. قلتُ قد قُرِضتُ» (مرا 3: 54).

(ب) إنه في طين حمأة: وفي آية 2 اشتكى المرنم من غرقه في حمأة عميقة، ومن أن السيل غمره. والحمأة هي الطين المختلط بالقذارة، كلما حاول الخروج منه غاص فيه! توالت أمواج الحزن عليه وزادت، حتى بعد أن كانت تحيطه صارت فوقه، ثم انتقلت من خارجه إلى داخله. ولكن الوعد سيظل صادقاً «إذا اجتزت في المياه فأنا معك، وفي الأنهار فلا تغمرك» (إش 43: 2).

(ج) صلاته غير مستجابة: وفي آية 3 قال إن جسده ونفسه تعبا من انتظار استجابة صلاة تأخَّرت، حتى أن حلقه يبس من كثرة الصراخ لإلهه الذي يبدو أنه لا يسمعه. وهو في هذا يشترك مع إرميا في قوله لباروخ: «قلتَ ويلٌ لي لأن الرب قد زاد حزناً على ألمي. قد غُشي عليَّ في تنهُّدي ولم أجد راحة» (إر 45: 3).

(د) أعداؤه كثيرون: وفي آية 4 يقول إن أعداءه كثيرون جداً، وهم أقوياء ومتجبِّرون. ورغم براءته عاملوه كمذنب، وأرادوا أن يهلكوه، وأجبروه أن يَرُدَّ ما لم يخطفه!

2- مصدر المتاعب: (آيات 5-12).

(أ) المرنم هو المصدر الأول لمتاعبه: في آية 5 اعترف بحماقته وذنوبه التي لا تخفى عن إلهه. والخطية حماقة، ولكن الأحمق يصبح حكيماً عندما يعترف لله ويتوب. وفي آية 6 طلب أن يحفظ الرب المؤمنين الذين ينتظرونه ويلتمسون وجهه، فلا يخزون ولا يخجلون وهم يراقبون حماقته، وهو قائدهم وقدوتهم! ففي اعترافه ذكر تأثير ما ارتكبه على المؤمنين من إخوته، وطلب لهم رفعة الرأس وعدم الخجل. (انظر تعليقنا على «رب الجنود» في مز 24: 10).

(ب) حب المرنم لله سببٌ آخر لمتاعبه: كان المرنم يحب الله ويغار على هيكله، فسخر الناس منه (آيات 7-12). وهو في هذا يشارك إرميا مشاعره في صلاته: «اعرِف احتمالي العار لأجلك» (إر 15: 15). كانت غيرة المرنم على بيت الله مثل نار متقدة في داخله، وهو يرى نفاق العابدين، فبكى وصام وصلى ولبس المسوح. وكان هؤلاء المنافقون من عائلته وإخوته وأشقائه بني أمه، فلم يتوبوا، بل سخروا منه وقاطعوه. كما كان المنافقون من غير عائلته، ومنهم القادة والقضاة الجالسون في باب المدينة، ومنهم المنحطون والسكيرون. وهؤلاء جميعاً جعلوه موضع أغانيهم الهازئة!

وقد ظهرت غيرة داود على بيت الرب في إقامة خيمة الاجتماع على الجبل المقدس (2 صم 6: 12) وفي رغبته أراد أن يبني بيتاً للرب بدل الخيمة (2صم 7: 2). ولما لم يقبل الرب طلبه في البناء جمع الكثير من مواد البناء ليعاون في إقامته (1أي 28: 11-18).

وعندما طهَّر المسيح الهيكل (يو 2: 17) وطرد منه الصيارفة وباعة الحمام، الذين جعلوا بيت الله بيت تجارة، تذكر تلاميذه كلمات آية 9 من هذا المزمور.

3- صلاة وسط المتاعب: (آيات 13- 21).

(أ) صلى المرنم معتمداً على رحمة الله: (آيات 13-17).

صحيحٌ أنه كان غيوراً على بيت الله غيرة أكلته، ولكنه كان محتاجاً للرحمة الإلهية، فطلب من الله ثلاثة أمور: «وقت رضى» و«كثرة رحمة» و«محق خلاصه» (آية 13).

*** وقت رضى:** وهو وقت استجابة طلبة «ارتضِ يا رب بأن تنجيني. يا رب إلى معونتي أسرِع» (مز 40: 13) ويجيب الله المرنم: «في وقت القبول استجبتُك. وفي يوم الخلاص أعنتُك، فأحفظك وأجعلك عهداً للشعب» (إش 49: 8). فلا بد أن يستجيب الله الصلاة في الموعد المناسب الذي هما يعيِّنه بحسب محبته وحكمته، وفى وقته يسرع به (إش 60: 22).

*** كثرة رحمتك:** ويشرح الرحمة في آية 16 بقوله: «استجب لي يا رب، لأن رحمتك صالحة. ككثرة مراحمك التفت إليَّ». ولا بد أن يلتفت إليه لأنه الرحيم الرؤوف بطيء الغضب وكثير الإحسان والوفاء (خر 34: 6). وقد ظهر غنى رحمته في أنه من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أموات بالخطايا أحياناً مع المسيح (أف 2: 4، 5). «لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبَدين لشهوات ولذَات مختلفة، عائشين في الخبث والحسد، ممقوتين، مبغِضين بعضُنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطفُ مخلصنا الله وإحسانه، لا بأعمالٍ في برٍّ عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته، خلَّصنا بغسل الميلاد

الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلِّصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية» (تي 3: 3-7).

* **حق خلاصك:** وهو صدق مواعيده في الإنقاذ فإن «كل من يدعو باسم الرب يخلُص» (أع 2: 21). وهو ما يشرحه في آية 17 بقوله: «لا تحجب وجهك عن عبدك لأن لي ضيقاً. استجِب لي سريعاً».

وفي آيتي 14، 15 كرر الشكوى التي سبق أن رفعها في آيتي 2، 4 من الطين، ومن أعماق المياه، ومن السيل، حتى لا «تُطبق الهاوية عليَّ فاها». وقد تكون «الهاوية» قبراً (مز 55: 23) وقد تكون جُباً (مرا 3: 53، 55). وربما أُلقي المرنم في الجب مجازاً، أو ربما كان الجب حرفياً، كما حدث مع إرميا (38: 6).

(ب) صلى طالباً الفداء والفكاك: (آيات 18-21).

«اقترب إلى نفسي. فُكَّها. بسبب أعدائي افدني» (آية 18). والفكاك هو وقوف الولي الأقرب إلى جوار المديون لسداد دَينه، والفداء هو سداد الدَّين، أو الإنقاذ من العبودية. ويستجيب الله، فيقول المرنم مع إرميا: «دَنوتَ يوم دعوتُك. قلتَ: لا تخف.. فككتَ حياتي» (مرا 3: 57، 58). ويقول الله: «أُنقذك من يد الأشرار، وأفديك من كفِّ العُتاة» (إر 15: 21). اعتبر المرنم نفسه عبداً أسيراً مديوناً، يطلب من الرب أن يدفع عنه الفدية لينال الحرية. وكان الذي يفك عادة هو القريب الأقرب، الذي يطلقون عليه لقب «الولي» (را 4: 4). وما أجمل أن يعتبر المرنم أن الرب وليُّ أمره، والقريب الأقرب له، فيطالبه بأن يقترب منه ويفكه ويفديه.

ويعود المرنم في الآيات 19-21 يذكر آلامه ولاإنسانية أعدائه التي يعرفها الله. لقد بلغوا من اللاإنسانية درجة إعطائه العلقم المُرّ السام لجوعه، والخل الذي لا يُشرَب لعطشه.

ومع أنه في مرارة، إلا أنه أدرك أن النجاة قادمة. وقد اجتاز المسيح هذه الآلام، فاقتُبست آية 21 في يو 19: 28 عن عطش المسيح على الصليب وشُربه الخل.. ولكن النصرة كلها كانت للمسيح المقام الذي صعد إلى السماء.

ثانياً: ضعف المرنم
(آيات 22- 28)

عندما ذكر المرنم لاإنسانية أعدائه لم يقدر أن يضبط نفسه، فأخذ يطلب لهم العقاب والخراب والدمار من كل نوع. وبسبب قسوة هذه الكلمات ظن بعض المفسرين أنها كلمات أعداء المرنم عنه، طالبين له ولصحبه الهلاك. والحقيقة أن آية 22 وما بعدها تُفهَم في نور قرينة آية 21 «يجعلون في طعامي علقماً، وفي عطشي يسقونني خلاً». إذاً يطلب المرنم خراب أعدائه، لأنهم أضافوا آلاماً جديدة إلى الآلام التي أوقعها الله عليه بسبب خطيته، فقال: «الذي ضربته أنت (الرب ضرب المرنم) هم طردوه (الأعداء طردوا المرنم)» (آية 26). ثم قال في بقية الآية إنهم فرحوا في آلامه وشمتوا فيه وطعنوا سيرته: «بوجع الذين جرحتهم (يا رب) يتحدَّثون» (آية 26).

وقد قيل إن الويلات المذكورة في هذه الآيات هي نبوَّات عما سيحل بالأعداء الظالمين، كنتيجة طبيعية لظلمهم.. وقيل أيضاً إن المرنم يطلب أن تحل الويلات بأعدائه، بحسب روح ناموس موسى «عيناً بعين، وسناً بسن» (خر 21: 24). والواضح أن الصدِّيقين يضعُفون أحياناً، ولا يريدون أن يتركوا النقمة للرب ليوقعها بأعدائهم في موعده وبحسب حكمته، فيطلبون من الرب أن يوقع بأعدائهم عقوبات بعينها في وقت يحددونه. وقد سجَّل لنا الوحي المقدس طلبات المرنم بأمانة كاملة ليعلن لنا المصير المخيف الذي ينتظر الأشرار، وليعلن لنا ضعف المرنم الروحي، واحتياجه أن يتعلم روح المسيح، روح الصفح والغفران.

أوقع الله بالمرنم آلاماً، هدفها «للتقويم والتأديب الذي في البر» (2تي 3: 16). أما الأعداء فقد أوقعوا به آلاماً ليبأس ويهلك.

* طلب أن تصير مائدتهم فخاً بينما هم يأكلون آمنين، لأنهم أطعموه العلقم وسقوه الخل (آية 22) كما قيل في رو 11: 9.

* وطلب أن تعمى عيونهم التي راقبت البار لتؤذيه، وأن يرتعشوا مرضاً أو رعباً (آية 23).

* وطلب أن يصب الله عليهم غضبه (آية 24) كما قيل في إر 10: 25.

* وطلب أن تخرب ديارهم وأن يموتوا (آية 25) كما حدث للإسخريوطي الخائن (أع 1: 20).

وذكر داود سبب طلب هذه اللعنات الأربع في آية 26، وهي أنهم طردوه بعد أن عاقبه الرب، وسخروا منه بعد أن جرحه الرب.

* وطلب أن تتكدَّس آثام أعدائه فوق رؤوسهم فلا ينالون غفراناً من الله الذي يبرر الخاطئ (آية 27) كما قيل في إر 18: 23.

* وطلب حذف أسمائهم من سجلات الأحياء، بالموت.. أو طلب محوها من سفر الحياة الأبدية..أو طلب الاثنين معاً (آية 28).

ثالثاً: آمال المرنم
(آيات 29-36)

فرَّق المرنم بين المصير الذي يستحقه الأشرار (في آيات 22–28) وبين مصيره ومصير شعبه العامر بالخلاص والإنقاذ. سيرفعه الله وسيُسكن شعبه التقي في أورشليم، كما قيل: «رنِّموا للرب. سبِّحوا الرب، لأنه قد أنقذ نفس المسكين من يد الأشرار» (إر 20: 13).

1- المرنم يتوقع الخلاص: (آيات 29–31).

«خلاصك يا الله فليرفعني» (آية 29). هذه صلاة، كما أنها إعلانٌ واثق في أن الله سيعليه في برج أو قلعة لا يقدر الأعداء أن يدنوا منها. إنه مؤمن أن الله لا بد سيخلصه ويرفعه فوق أزمته النفسية، فتخرج منه «المياه التي دخلت إلى نفسه» (التي ذكرها في آية 1) ويغفر حماقته وذنوبه (التي ذكرها في آية 5)، ويستجيب صلاته (التي رفعها في آية 13). صحيح إن البار بإيمانه يحيا (حب 2: 4). وعندها يسبح الرب تسبيحاً أحبّ إلى الرب من تقديم «ثور بقر ذي قرون وأظلاف» (آية 31). والقرون تعني أن الثور قد بلغ عمره سنة، فهو صالح للذبيحة. وهو ذو أظلاف بمعنى أنه من الحيوانات الطاهرة المناسبة للأكل ولتقديمها كذبيحة (لا 11: 3).

2- المرنم يفرح بالخلاص: (آيات 32–34).

وعندما يتم الخلاص للمرنم يفرح، ويفرح معه جميع الودعاء. لقد تألموا معه في شكواه، ورفعوا صلواتهم لأجله، وبعد إنقاذه تنتعش قلوبهم بالفرح لأن الله سمع له ولهم.

في هذا الجزء الأخير من المزمور خرج المرنم من مجال الشكوى الكئيب إلى مجال الأمل المفرح، فأعلن فضل الله القادم إليه، وأدرك أن طالبي الله لا بد تحيا قلوبهم ولا تموت حزناً (آية 32) لأن الله يقبل توبة التائبين الذين أوقعتهم خطاياهم في أسر العقاب. وبعد النجاة وقعوا في أسر رحمة الله وحُبه (آية 33).

وهنا تهتز الطبيعة كلها من أرض وسماوات وبحار، وكل ما يدب فيها، مترنِّمة بخلاص الرب «ترنمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً، الوعر وكل شجرة فيه» (إش 44: 23).

3- جماعة الله تفرح بالخلاص: (آيتا 35 و 36).

يخلص الرب شعبه الصارخ إليه، وأبواب الجحيم لن تقوى عليه (مت 16: 18). ويبني الرب كنيسته ويضُم إليها كل يوم الذي يخلصون (أع 2: 47)، والودعاء يرثون الأرض (مز 37: 11 ومت 5: 5)، ويتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثمراً إلى ما فوق (إش 37: 31) ويكون نسل الصديقين ناجحاً (مز 37: 25) فيبنون الخرب القديمة، ويقيمون الأساسات، ويرمِّمون الثغرات، ويُرجعون المسالك للسكنى (إش 58: 12).

اَلْمَزْمُورُ السَّبْعُونَ

لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ. لِدَاوُدَ لِلتَّذْكِيرِ

1اَللهُمَّ، إِلَى تَنْجِيَتِي، يَا رَبُّ، إِلَى مَعُونَتِي أَسْرِعْ. 2لِيَخْزَ وَيَخْجَلْ طَالِبُو نَفْسِي. لِيَرْتَدَّ إِلَى خَلْفٍ وَيَخْجَلِ الْمُشْتَهُونَ لِي شَرّاً. 3لِيَرْجِعْ مِنْ أَجْلِ خِزْيِهِمُ الْقَائِلُونَ: «هَهْ هَهْ!». 4وَلْيَبْتَهِجْ وَيَفْرَحْ بِكَ كُلُّ طَالِبِيكَ، وَلْيَقُلْ دَائِماً مُحِبُّو خَلاَصِكَ: «لِيَتَعَظَّمِ الرَّبُّ!». 5أَمَّا أَنَا فَمِسْكِينٌ وَفَقِيرٌ. اللهُمَّ أَسْرِعْ إِلَيَّ. مُعِينِي وَمُنْقِذِي أَنْتَ. يَا رَبُّ لاَ تَبْطُؤْ.

صرخة استعجال

هذا المزمور ذو الخمس آيات صرخة استعجال، لأن صاحبه يبدأ بالقول: «إلى معونتي أسرع!» ويختمه بالصرخة نفسها: «يا رب، لا تبطُؤ». فعندما تكون موارد الإنسان كافية بصورة معقولة يطلب المعونة من الله وينتظر. ولكن عندما تنتهي موارده، أو يظن أنها انتهت، وعندما تضعف قوته ويجد نفسه يخور، يصرخ صرخة الاستعجال: «إلى معونتي أسرع».

وعنوان المزمور «التذكير». وربما يعني أن المرنم يذكِّر نفسه بوجود الرب المنقذ معه، وبفضله المتجدد المستمر. وربما يعني أنه بصلاته يذكِّر الله بضيقة نفسه، لا لأن الله ينسى، لكن ليطمئن قلب المرنم. وربما يعني أن هذا مزمور تذكاري لنجاة من كارثة ألمَّت بالمرنم أو بالأُمة أو بكليهما، كما قيل «في يوم فرحكم وفي أعيادكم.. تضربون بالأبواق.. فتكون لكم تذكاراً أمام إلهكم» (عد 10: 10). وكلمات هذا المزمور هي تقريباً كلمات مزمور 40: 13–17. ويبدأ مزمور 45 بالشكر على المراحم السابقة (آيات 1–12) ويُختم بصلاة (آيات 13–17). ويحتوي مزمور 70 على الصلاة وحدها. الأغلب أن أحد الأنبياء أخذ الآيات الخمس الأخيرة من مزمور 40 ولحَّنها لترتيلها في العبادة الجمهورية.

في هذا المزمور نجد:

أولاً– المرنم يطلب لنفسه (آيات 1–3)

ثانياً– المرنم يطلب للمؤمنين (آية 4)

ثالثاً– المرنم يعود يطلب لنفسه (آية 5)

أولاً ـ المرنم يطلب لنفسه
(آيات 1-3)

هناك أمران يدفعان المحتاج ليلجأ إلى الله طالباً عونه السريع: معرفته وإيمانه أنه عزيزٌ على الله، فلا بد أن الله يهتم به. وثانياً شدة حاجته، وعدم قدرته على مساعدة نفسه، وضغط إلحاح مشكلته عليه. ونجد الأمرين معاً في حالة كاتب مزمورنا.

1 – معرفة المرنم وإيمانه بأن الله يهتم به، وأنه عزيز في عيني إلهه : «اللهمَّ، إلى تنجيتي يا رب، إلى معونتي أسرع.. اللهم أسرع إليَّ. معيني ومنقذي أنت. يا رب، لا تبطؤ» (آيتا 1، 5).

(أ) يعرف أن الله هو إلوهيم: فيناديه «اللهم». وإلوهيم هو الخالق الذي بدأ ويكمل، الذي خلق كل الأشياء بإرادته، وهو ضابطها، فلا تزال كائنة (رؤ 4: 11).

(ب) يعرف أن الله هو يهوه: فيناديه «الرب». ويهوه هو إله العهد، الذي قدم المواعيد لشعبه ويلتزم بهما. واليوم ندرك بطريقة أفضل أن لنا عهداً جديداً مختوماً ومضموناً بدم المسيح (مت 26: 28)، الذي هو وسيط العهد الجديد (عب 12: 24)، ونثق في صدق هذا العهد ودوامه لأن دم المسيح يضمنه.

2- شدة حاجة المرنم: «ليخزَ ويخجل طالبو نفسي. ليرتدَّ إلى خلف ويخجل المشتهون لي شراً. ليرجع من أجل خزيهم القائلون: هه! هه!» (آيتا 2، 3). ترجع شدة الحاجة إلى شدة الهجوم. ويذكر المرنم ثلاثة أنواع من الأعداء الذين هاجموه: الذين سعوا وراءه، والذين اكتفوا بأن يتمنوا له الأذى، والذين سخروا منه:

(أ) «طالبو نفسي»: مثل شاول الذي سعى وراء داود من مكان إلى مكان ليقتله. ويطلب المرنم أن يُخزي الرب مطارديه ويخجلهم ليتوقَّفوا عن «طلب نفسه».

(ب) «المشتهون لي شراً»: وهم الحاسدون الذين يريدون له الأذى، بأيديهم أو بأيدي غيرهم. وهو يطلب أن يتراجعوا عن ذلك ويخجلوا من سوء نيتهم، ومن عدم تنفيذ ما تمنوه له.

(ج) «القائلون: هه! هه!»: وهي صيحة الفرح الخبيث وهم يرون آلام المرنم. يقولونها بسخرية وهم يترقبون سقوطه وهلاكه. كما أنها صرخة الوعيد والتهديد. ويطلب المرنم أن يرجعوا عن سخريتهم وتهديدهم بالخزي.

ثانيا ـ المرنم يطلب للمؤمنين
(آية 4)

في هذه الآية يقدم المرنم وصفاً للمؤمنين الذين يصلي لأجلهم، ثم يرفع الصلاة لأجلهم. يقول: «ليبتهج ويفرح بك كلُّ طالبيك. وليقُل دائماً محبو خلاصك: ليتعظم الرب».

1- وصف المؤمنين:

(أ) إنهم «طالبو الرب»: قال الرب: «تطلبونني فتجدونني إذ تطلبونني بكل قلبكم» (إر 29: 13). وقال موسى: «إن طلبت الرب إلهك تجده، إذا التمسته بكل قلبك وبكل نفسك» (تث 4: 29). وقال الرسول بولس لأهل أثينا عن طالبي الرب: «لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمَّسونه فيجدوه، مع أنه عن كل واحدٍ منا ليس بعيداً» (أع 17: 27).

(ب) إنهم «محبو خلاصك»: قال المرنم عنهم: «ليهتف ويفرح المبتغون حقي، وليقولوا دائماً: ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده» (مز 35: 27) وهم «محبو اسمه» الذين يسكنون بيته (مز 69: 36). وفي العهد الجديد هم الذين يحبون ظهوره أيضاً (2تي 4: 8).

وهاتان الصفتان «طالبوه»، و«محبو خلاصه» تكشفان لنا نوعية حياة الإيمان. إنها حياة طلب الرب بالصلاة والانتظار، كما أنها حياة الخلاص من كل ما يعكر الصفو ويضيع السلام. والخطية هي أول ما يعكر الصفو، والرب يخلصنا منها بكفارته الكريمة. والقلق يعكر الصفو، والرب يعطي نفوسنا سلاماً وراحة. والأعداء يسببون لنا الانزعاج، والرب ينقذنا منهم ويعطينا الطمأنينة.

2- ما يطلبه المرنم للمؤمنين:

(أ) يطلب لهم الفرح: «ليبتهج ويفرح بك كل طالبيك». وهذا إحساس داخلي ينتج عن سكنى المسيح في القلب، وعن تأكيد غفران الخطية، وعن صحبة المسيح لنا كل الأيام. وهو ثمر الروح القدس عندما يمتلك حياة المؤمن. وهذا الفرح ليس نتيجة الظروف، لكنه يسمو فوقها، وينمو حتى وسط الصعوبات، فتُنفَّذ النصيحة الرسولية: «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في 4: 4) ويصبح فرح الرب قوة المؤمن (نح 8: 10).

(ب) يطلب أن يعظموا الرب: «ليقُل دائماً محبّو خلاصك: ليتعظم الرب». وهذا تعبير خارجي عن الفرح القلبي «أمسرورٌ أحد؟ فليرتل» (يع 5: 13) وتعظيم الرب يكون بالاعتراف بفضله وخلاصه. ويكون بتقديم الشكر له في مخادعنا بالصلاة الشاكرة. ويكون بإعلان فضله علينا في كنائسنا بالترتيل. ويكون بدعوة غيرنا ليختبروا الفرح الذي اختبرناه.

فليعلّمنا الله أن نطلب لأنفسنا، وأن نطلب لغيرنا، كما فعل أيوب عندما ردَّ الرب سبيه لما صلى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضِعفاً (أي 42: 10).

ثالثاً ـ المرنم يعود يطلب لنفسه
(آية 5)

«أما أنا فمسكين وفقير. اللهم أسرع إليَّ. معيني ومنقذي أنت. يا رب لا تبطؤ» (آية 5). مرة أخرى يدعو المرنم الله ليقدم له العون السريع، ويبني الطلبة على سببين (كما فعل في آيات 1–3). إنه يعرف الرب المعين المنقذ، وهو في شدد الحاجة السريعة للعون والإنقاذ. والرب لا يمل من سماع صلاة المؤمن واستجابتها، كما أنه يطالب المؤمن أن يصلي في كل حين ولا يمل (لو 18: 1).

1- الرب هو المعين والمنقذ:

(أ) ينادي «معيني»: الذي ارتبط به بصورة شخصية، فقال له: «إلى معونتي أسرع» (آية 1) والمعين هو الذي يوفر احتياجات الإنسان التي يعجز عن الحصول عليها بنفسه، ويكون ناقصاً بدونها، كما لم يكن جيداً أن يكون آدم وحده بدون معونة حواء (تك 2: 18). ويقول الله المعين لك: «لا تخف لأني معك. لا تتلفَّت لأني إلهك. قد أيَّدتُك وأعنتك وعضدتك بيمين بري» (إش 41: 10). فنقول مع المرنم: «طوبى لمن إله يعقوب معينه» (مز 146: 5).

(ب) ينادي «منقذي»: بحسب وعده: «لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك، يقول الرب» (إر 1: 8) «الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي. الذي لنا رجاءٌ فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 10).

2- شدة حاجة المرنم للرب، لسببين:

(أ) بؤس نفس المرنم: «أما أنا فمسكين». إنه يحس بالوحدة، وكم كان وحيداً وهو يهرب من مغارة إلى مغارة، ولم يستطع أحدٌ من أهله أن يرافقه أو يعاونه خوفاً من بطش الملك. وانضمَّ إلى داود كل مُري النفس. ولكن إحساس الوحدة القاسي قاده لطلب العون الإلهي السريع.

(ب) فقر المرنم المادي: «أما أنا.. فقير» فكيف يستطيع المطرود أن يكسب رزقه؟ لقد اضطرَّته الحاجة يوماً أن يقول لنابال اللئيم: «أعطِ ما وجدته يدُك.. لابنك داود» (1صم 25: 8) ومع ذلك رفض نابال أن يعطيه. لقد انتهت موارد داود المالية، فطالب الله بسرعة التدخل لتقديم المعونة.

ولكن المرنم اكتشف أن ضعفه هو سر قوته، لأن قوة الله في الضعف تُكمل (2كو 12: 9) واكتشف أن فقره هو سرُّ غناه، لأن المسيح افتقر لنستغني نحن بفقره (2كو 8: 9).

فلندْعُ الله دوماً كلما أعوزنا العون والإنقاذ: «إلى معونتي أسرع.. يا رب لا تبطؤ».